من سيرة مولانا الحسين

للأستاذ حسن كامل الملطاوى

وكيل وزارة الخزانة ورئيس مجلس إدارة مسجد الإمام الحسين

— ٢ —

مكانة رضى الله عنه بين اجلاء الصحابة والتابعين :

كان رضى الله عنه موضع إكبار وإجلال من أجلاء الصحابة والتابعين وعلى رأسهم سادتنا الخلفاء الراشدون ، ولقد روى ابن عباس أن أمير المؤمنين الفاضل العادل سيدنا عمر كان يحب الحسن والحسين ويقدمهما على ولده عبد الله ولقد قسم يوما فأعطى الحسن والحسين كل واحد منهما عشرة آلاف درهم وأعطى ولده عبد الله ألف درهم فعاتبه ولده وقال قد علمت سبقى فى الإسلام وهجرتى وأنت تفضل على هذين الغلامين فقال ويحك ياعبد الله أتنى بجد مثل جدهما وأب مثل أبيهما وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتهما وخال مثل خالها وخالة مثل خالتهما وعم مثل عمهما وعمة مثل عمتهما جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم وعمهما جعفر بن أبى طالب وعمتهما أم هانىء بنت أبى طالب .

وقال ابن عساكر فى التاريخ الكبير جعل عمر عطاء الحسن والحسين مثل عطاء أبيهما فألحقهما بفريضة أهل بدر ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف .

وقد روى أن مولانا الحسين رضى الله عنه كان يشيع جنازة فجلس وهو راجع يستريح قليلا فأخذ أبو هريرة رضى الله عنه ينفض بثوبه التراب عن نعليه فقال له مولانا الحسين وأنت يا أبا هريرة تفعل ذلك . قال دعنى لو علم الناس من أمرك ما أعلم لحملوك على الرقاب .

وروى أن ابن عمر رضى الله عنه كان يجلس بجوار الكعبة فدخل مولانا الحسين المسجد الحرام فقال ابن عمر رضى الله عنه لجلسائه أتدرون من أحب أهل الأرض إلى السماء اليوم قالوا لا قال هذا القادم على بيت الله وأشار إلى مولانا الحسين رضى

الله عنه . فنظر إليه رجل من عرافى البادية وهتف اذن فويل له من أهل الأرض فقيل له لم فقال لأن مكانه فى السماء .

وما أبدع ما أجاب به الطاهر الظافر سيدى محمد بن الحنفية (أخو مولانا الحسن لأبيه) حين قالوا له لم يغرر بك أبوك فى الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين ؟

فقال أنهما عيناه وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه . وكان سيدنا على يقول كفوا عنى هذين أى الحسن والحسين لئلا يهدانى فإنهما ان هلكا انقطع نسل محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمة .

وانظروا إلى إحترام سيدى محمد بن الحنفية لمولانا الحسين فى القصة التالية :

جرى بينهما رضى الله عنهما كلام فافترقا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله كتب إلى أخيه الحسين بعد البسملة :

« من محمد بن على إلى أخيه الحسين بن على »

أما بعد : فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه ، فإن أمى امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض مثل أمى ، ما وفين بأمك .

فإذا قرأت رقعتى هذه فالبس ردائك ونعليك ، وسر إلى لترضينى ، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى ، والسلام .

فلبس الحسين رداءه ونعليه ، وجاء إليه وترضاه .

شىء من وصايا أبيه له :

روى الشريف الرضى فى نهج البلاغة والمبرد فى الكامل أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شىء منها زوى عنكما ، أعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا . يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل أمير المؤمنين لا تقتلن بى إلا قاتلى أنظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أياكم والمثلة ولو بالكلب العقور .

ثم دعا محمد (أى ابن الحنفية) فقال ألم تسمع ما أوصيت به أخويك قال بلى

قال فانى أوصيك به وعليك بين أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمراً دونهما .

ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيراً فانه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه .

وروى أبو منصور الثعالبي فى الإعجاز والإيجاز تلك الوصية الخالدة التى وجهها سيدنا على كرم الله وجهه إلى مولانا الحسين رضى الله عنهما وهى :

يابنى أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله تعالى فى الشدة والرخاء .

يابنى ماشر بعده الجنة بشر ولاخير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة محقور ، وكل بلاء دون النار عافية .

أعلم يابنى أن من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره ، ومن رضى بقسم الله تعالى لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغى قتل به . ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها ، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن كابد الأمور عطب . ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله ذل ومن تكبر على الناس ذل ومن سفه عليهم شتم ومن دخل مداخل السوء إتهم ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ومن اعتزل سلم ومن ترك الشهوات كان حراً ومن ترك الحسد كان له المحبة من الناس . يابنى عز المؤمن غناه عن الناس والقناعة مال لاينفد ومن أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما ينفعه .

العجب من خاف العذاب كيف لا يكف . ورجا الثواب فلم يعمل ، الذكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة والسعيد من وعظ بغيره والأدب خير ميراث وحسن الخلق خير قرين . يابنى ليس مع قطيعة الرحم نماء ولا مع الفجور غنى ، يابنى العافية عشرة أجزاء تسعة منها فى الصمت إلا بذكر الله تعالى وواحد فى ترك مجالسة السفهاء . ومن تزين بما سوى الله عز وجل فى المجالس ورثه الله ذلا . ومن طلب العلم علم .

يابنى رأس العلم الدين والمفتاح العمل . ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب والعفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر

كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . يابنى لا تؤيسن مذنبا فكم من عاكف عن ذنبه ختم له بخير ، ومن مقبل على عمله ، مفسد له فى آخر عمره صار إلى النار ، من تحرى القصد خفت عليه الأمور ، يابنى كثر الزيارة تورث الملالة .

يابنى الطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم وإعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله ، يابنى كم من نظرة جلبت حسرة ، وكم من كلمة جلبت نعمة ، ولا شرف أعلا من الإسلام ، ولا كرم أعلا من التقوى ، ولا معقل أحرز من الورع ، ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة الكفاف تعجل الراحة . الحرص مفتاح التعب ومطية النصب وداع إلى التقحم من الذنوب والشرجا مع لمساوىء العيوب وكفى أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك ، لأخيك مثل الذى عليك له ، ومن تورط فى الأمور من غير النار فى الصواب فقد تعرض لمفاجأة النوائب . التدبير قبل العمل يؤمنك الندم . ومن ومن استقبل وجوه العمل والآراء عرف مواقع الخطأ ، الصبر جنة من الفاقة ، فى خلاف النفس رشدها ، الساعات تنقص الأعمار . ربك للباغين من أحكم الحاكمين وعالم بضمير المضمرين . بئس الزاد للمعاد ، العدوان على العباد فى كل جرعة شرق وفى كل أكلة غصص . لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ما أقرب الراحة من التعب والبؤس من النعيم والموت من الحياة فطوبى لمن أخلص لله تعالى علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وتركه وكلامه وصمته ، وبخ بخ لعالم علم فكف وعمل فجد وخاف التباب فأعد واستعد ، إن سئل أفصح وإن ترك سكت . كلامه صواب وصمته من غير عى عن الجواب والويل كل الويل إن بلى بحرمان وخذلان وعصيان واستحسن لنفسه ما يكره لغيره . من لانت كلمته وجبت محبته . من لم يكن له حياء ولا سخاء فالموت أولى به من الحياة . لا تتم مروءة الرجل حتى لا يبالى أى ثوبيه لبس ولا أى طعاميه أكل .

شىء من صفاته ومناقبه رضى الله عنه :

روى الإمام البخارى عن أنس بن مالك أن الحسن كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير عن شهاب بن خراش أنه كان فى صوت

الحسين غنة وكذلك روى ابن كثير عن شهاب هذا . والغنة صوت جميل .

وكان رضى الله عنه يحب الطيب وكان يلبس خاتما نقش عليه : حسبى الله وفى بعض الروايات : أن الله بالغ أمره . وكان له من الخيل الكريمة اليحموم وذو الجناح ولا حق وغيرها .

أما مجلسه فقد وصفه معاوية لرجل من قريش فقال له : إذا دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت حلقة فيها قوم على رؤسهم الطير فثم أبو عبدالله الحسين .

أما جوده فقد قال عنه محمد بن أبى طلحة الشافعى القرشى فى كتابه (مطالب السؤول فى مناقب آل الرسول) بأنه كان يكرم الضيف ويمنح الطالب ويصل الرحم وينيل الفقير ويسعف السائل ويكسو العارى ويشبع الجائع ويعطى الغارم ويشد الضعيف ويشفق على اليتيم ويعين ذا الحاجة وقل أن وصله مال إلا فرقه .

* * *

ومن طريف ما يروى فى هذة المناسبة أن إعرابياً أتاه عليه السلام فسلم عليه وقال: يا ابن رسول الله انى قتلت ابن عم لى وقد طولبت بالدية فهل لك أن تعطينى شيئاً. فقال له متفكها : يا إعرابى نحن قوم لا نعطى المعروف إلا على قدر المعرفة فقال : سل ما تريد

فقال رضى الله عنه : ما النجاة من الهلكة ؟ قال : التوكل على الله عز وجل . فقال وما الهمة قال الثقة بالله فسأله ما يزين المرء قال علم وحلم . قال فإن لم يكن قال أدب وخفض جناح للمؤمنين . قال فإن لم يكن قال فصاعقة من السماء تنزل فتذهب به .

فضحك عليه السلام وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له هذه لقضاء ديونك وعشرة آلاف درهم أخرى وقال هذه تلم بها شعثك وتحسن بها حالك وتنفق منها على عيالك فأنشأ الإعرابى يقول :

طربت ماهاج لى معبق ولا إلى مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسول فلذ لى الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات وأنت الجواد فلا تلحق
أبوك الذى ساد بالمكرمات فقصر عن سبقه السبق
به فتح الله باب الرشاد وباب الفساد بكم مغلق

وروى ابن عساكر فى التاريخ الكبير أن سائلا خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب اليوم من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه ... أبوك قد كان قاتل الفسقة

* * *

وكان الحسين واقعا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الاعرابى فرأى عليه أثر وفاقه فرجع ونادى بقنبر فأجابه لبيك يا ابن رسول الله قال ما تبقى معك من نفقاتنا قال مئتا درهم أمرتنى بتفرقتها فى أهل بيتك فقال هاتها فقد أتى من هو أحق بها منهم فأخذها وخرج يدفعها إلى الاعرابى وأنشأ يقول :

خذها فانى إليك معتذر ... وأعلم بأنى عليك ذو شفقة
لو كان فى سيرنا عصا تمد أذن ... كانت سمانا عليك متدفقة
لكن ريب المنون ذو نكد ... والكف منا قليلة النفقة

فأخذها الأعرابى وولى وهو يقول :

مطهرون نقيات جيوبهم ... تجرى الصلاة عليهم إينما ذكروا
وأنتمو أنتمو الأعلون عندكم ... علم الكتاب وما جاءت به السور
من لم يكن علويا حين تنسبه ... فما له فى جميع الناس مفتخر